تولوزلوتريك

الرسام الثائر

بقلم: أمين الصيرفي



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

« منذ زمن لم نلتق بفنان له مثل هذه الموهبة المتقدة .. وربما يرجع سر أستاذيته وصراحة تعبيره إلى أنه يجمع بين ملكتين متكاملتين ، هما قدرته على النفاذ إلى أعماق شخصياته ، وقدرته الفائقة على التعبير فى رسومه » .

مجلة الفنون الجميلة

فرنسا – عام ١٨٩٣ م



مقدمة :

●عندما سقط وهو صغير .. من فوق حصانه سقطت معه أحلامه ، وتناثرت أمنياته من بين يديه .

اعتبر أيامه القادمة حملاً ثقيلاً سينوء به ، ويحيا ككسيح ، بعيدًا عن أقرانه وزملائه .. فى عُزلة ووحشة .

لكنه سرعان ما رفع رأسه ونظر للشمس المشرقة تؤذن بميلاد يوم جديد ، يحمل معه أملاً جديدًا فى الحياة .

فصرخ .. فى نفسه

وقرر أن يعود للحياة .. منتصرًا ، قاهرًا ذاته وحزنه فيملأ الدنيا بضحكاته وفنه وألوانه .

حتى صار من عظماء الفن فى العالم وأحد رموز الفن البارزة فى فرنسا ، التى تتباهى بها .

من هو تولوز لوتريك ؟

الفنان التشكيلى – الرسام الفرنسى العالمى « تولوز لوتريك » الذى أصبح فى يوم من الأيام من أشهر فنانى عصره .. وحتى اليوم يُعد من الأسماء القلائل التى يذكرها تاريخ الفن الحديث فى المراجع والكتب كأحد رواد هذا الفن وعلاماته ، وخاصة من طوروا نظرة الفن المحدودة إلى أساليب جديدة ، وآفاق رحبة ، تعتمد على حرية الفنان ومهاراته معًا .

كان تولوز لوتريك أحد أعمدة المدرسة التأثيرية فى فن الرسم .. وهى أسلوب جديد فى الرسم ابتكره مجموعة من الفنانين العظام أمثال « إدوار مانيه » (١٨٣٢ – ١٨٨٣) ،

« وكلود مونيه » (١٨٤٠-١٩٢٦) ، « وكاميل بيسارو » (١٨٣٠-١٩٠٣) ، « وألفريد سيسلى » (١٨٣٩-١٨٩٩) ، ومن بعدهم « رينوار » (١٨٤١-١٩١٩) ، « وإدجار ديجا » (١٨٣٤-١٩١٧) .. « وتولوز لوتريك » .. وهى مدرسة هامة جدًّا فى مجال الفن التشكيلى - سنتعرض لمعناها فيما بعد - وكان « تولوز لوتريك » أيضًا يمتلك مهارة عالية جدًّا فى الرسم وتميز عن زملائه فى فنه وفكره وإحساسه لذا فقد نجح نجاحًا باهرًا ، وأبدع بريشته مجموعة كبيرة من أجمل اللوحات العالمية التى تُزين جدران المتاحف الشهيرة فى كل مكان ، حتى فى مصر توجد لوحته الشهيرة « درس فى الغناء » والموجودة حاليًا بمتحف محمد محمود خليل بالجيزة .

ورغم عجزه الذى أصابه وهو صغير ، استطاع أن يتغلب عليه بالعمل والاجتهاد والإبداع .. حتى صار فى تلك المنزلة الرفيعة .



النشـــــأة

اسمـه بالكامـل « هنرى دى تولـوز لوتريك »

Henri de Touluse - Lautrec .

ولد فى نوفمبر عام ١٨٦٤ م بمدينة « ألبى » بإقليم تارن .. جنوب فرنسا .

كان « لوتريك » هو الابن الوحيد المدلل لأبوين من أسرة عريقة ، فوالده هو « الكونت ألفونس دى تولوز لوتريك » ، وهو من علية القوم الأثرياء ، ينفق الكثير من وقته فى الصيد وتربية الخيل ، وغيرها من هوايات الأثرياء فى ذلك الوقت ، وكان حريصًا على أن يتعلم

ابنه الفروسية كعادة تلك العائلات الكبيرة ، ووالدته الكونتيسه « أديل » وهى ذات مكانة فى المجتمع الراقى .

ومُنذ أن ولد « تولوز لوتريك » ، وهو مُعتل الجسد ، ضعيف البنيان ، ضئيل الجسم ، ألحقه والده بمدرسة « الليسيه » فى باريس ، لكن بعد فترة فضل أن يترك ابنه الدراسة ، على أن يتلقى دروسه وعلومه على يد أساتذة متخصصين بالمنزل — وهى عادة كانت منتشرة حينها بين القادرين والأثرياء — ويهتمون بتعليم أولادهم .. اللغات ، والعلوم ، والفنون ، والفروسية وأسس اللياقة (البروتوكول) ... وغيرها .

الحــادثـة

لكن الصبى تعرض لحادثتين متتاليتين ، أدتا إلى إصابته فى ساقيه .. مما منعهما من النمو الطبيعى وبالتالى أصابه العجز التام عن الحركة ..

حدث هذا وهو فى الثالثة عشرة من عُمره .. عندما سقط من فوق حصانه ، ونظرًا لضعفه الشديد وهزاله فقد تهشمت عظام فخذه الأيسر ، حاول بعدها أن يمارس حياته بشكل طبيعى وممارسة هواياته – حتى هواية ركوب الخيل التى أصابته فى ساقه – ولسوء حظه بعدها بحوالى عام أو أكثر قليلاً سقط ثانية من فوق الحصان ، فتهشمت عظام ساقه اليمنى أيضًا ، وأصابه عجز كامل فى ساقيه .

ويئس الأطباء من شفائه لسوء حالته الجسمانية وضعف عظامه .

بعدها تغير « تولوز لوتريك » ، وانزوى فى المنزل .. بلا حركة ولا أمل .. تغيرت أحواله وطباعه ، إذ أصبح لا يشعر برغبة فى الحياة ويشعر أنه غير قادر على مشاركة الآخرين من حوله كما كان يفعل كعادته .

أظلمت الدنيا فى عينيه ، واعتبر نفسه ثقيلاً على الآخرين ؛ وأن الحياة ستمر ثقيلة عليه .

ففضل الانطواء بالمنزل ، لا يرى أحدا من أصدقائه ولا يتحدث إلى أحد ، معتقدًا أن عليه أن يتحمل حياته هذه فى صمت ووحدة .

العودة للحيـــاة . . والفن

بعد فترة تأمل .. نظر تولوز لوتريك للطبيعة من حَوْله وتعلَّم أن كل شيء ينمو ، ولديه رغبة فى الحياة والبقاء . فالشجرة إذا قُطع لها غُصن نما لها آخر بدلاً منه ، والطير إذا سقط ، لا يستسلم .. بل يحاول ويحاول حتى يطير ثانية ، ويحلق فى السماء عاليًا .

فالحياة تسير وتمتلئ بالبهجة والأشياء الجميلة .. فعليه أن يخلع ضعفه ويعود قويا ، طموحًا كما كان . فالحياة مازالت أمامه .

فتحول من النقيض إلى النقيض ، ركز كل طاقاته فى هوايات جديدة تشغله وتنمِّى معارفه ، وتوسع مداركه ،



تولوز لوتريك .... الساخر فى زى يابانى

وتصقل مهاراته .. مثل الرسم والقراءة وتعلم اللغات ، كما أحب السفر والتنقل بين البلاد والأماكن المختلفة قاهرًا عجزه عن الحركة ومتحديًا ظروفه الصعبة . بل تولدت فيه صفات جديدة ، منها حُب الزعامة والسيطرة ، والتمرد على الواقع ، بالإضافة إلى المرح وحب السخرية من كل شيء ، حتى من نفسه فكان يبغى أن يترك الأحزان خلف ظهره ويعيش سعيدًا .

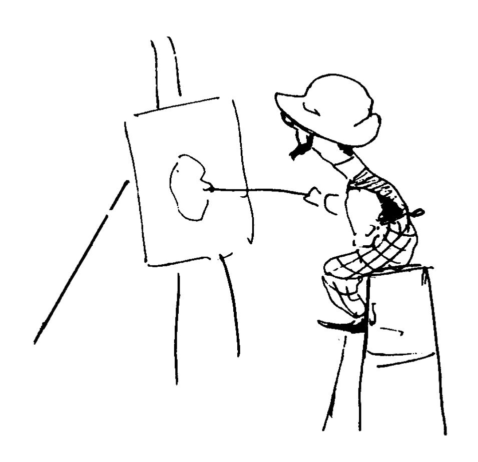
والرسم كان هوايته المُفضلة ، يقضى فيها معظم وقته ، يتأمل ما حوله من أشياء ومناظر وناس ويرسمهم على أوراقه ، ويعيد تأملهم ويسأل نفسه هل نجح فى رسمهم كما يريد أم لا ؟ ..

وأحيانًا ما يرسم نفسه ومن حوله فى صور كاريكاتيرية ساخرة .

الخروج من العُزلة

خلال أربع سنوات نمت فيها مداركه ، وأصبح قادرًا على الرسم بمهارة ودقة ، وتفجرت موهبته بشكل واضح .. فى عام ١٨٨٢ م .. وكان عُمره وقتها ثمانية عشر عامًا ، قرر أن يُصقل موهبته بالدراسة ، فسافر إلى باريس ليلتحق بمدرسة الفنون الجميلة ، ويدرس قواعد وأسس الفن التشكيلى . فدرس على يد أستاذه الفنان « ليون بونا » . وعاش فى الحى اللاتينى (المونمارتر) وهو حى معروف فى باريس بأنه مكان تجمع الفنانين والكُتاب من كل أنحاء أوروبا والعالم ، وهناك تعرف على مجموعة كبيرة من الفنانين الذين أعجبوا برسومه وشجعوه على المضى فى طريق الفن .

لكنه عُرف بأسلوب حياته الفوضوى – خاصة فى تلك الفترة – حيث كان يشعر دائمًا بأن حياته قصيرة ، وعليه أن يعيشها ويتمتع بها . كأنما يسابق الزمن ، فكان يلهو ويسهر كثيرًا ، وكذلك كان يرسم كثيرًا كل ما يُقابله من مناظر جميلة وأشخاص مختلفين . كما أن حياته وسط الفنانين فى مناخ تملؤه الثقافة والفنون صقل خبرته وأعطاه أفكارًا جديدة وجريئة ، متحررة ، لفتت أنظار الفنانين من حوله والجمهور المتذوق للفن .



حـى الفنـانـين

الحياة بحى الفنانين (المونمارتر) بباريس كانت تختلف كثيرًا عن الحياة الريفية الهادئة ببلدته « ألبى » بضواحى فرنسا فهو مكان صاخب دائم الحركة ، يتجمع فيه فنانون من كل أنحاء أوروبا كى يشقوا طريقهم من فرنسا عاصمة الفن والجمال – خلال هذا القرن – فكانت دائمًا تعج بالمعارض الفنية والندوات واللقاءات والأفكار والناس من كل الأجناس ومختلف الاتجاهات حتى إن مقاهى « المونمارتر » تحولت إلى أماكن لتجمع الفنانين والكتاب ، يتناقشون فى كل ما يخص الفن والحياة .. والكتاب والأدباء يقرءون لبعضهم ما يكتبونه ، وكذلك الموسيقيون والعازفون .



تولوز لوتريك .. مع أصدقائـــه

وفى الميدان الكبير الشهير تجلس جماعات من الفنانين مع لوحاتهم وأوراقهم وألوانهم يرسمون الأشخاص والمناظر الطبيعية من حولهم – وهى ظاهرة منتشرة حتى الآن فى فرنسا – وفى جلساتهم يتحاورون فى اللوحات .. وآخر أخبار المعارض الفنية .. وغيرها من الأمور .

فكان هذا الحى دائم الحركة مُشِعًّا بالفن والفكر الجديد .. لذلك كانت حياة « تولوز لوتريك » هناك بمثابة اكتشاف له ، وتحفيز لأفكاره وثقافته ، أتاحت له الكثير من الاحتكاك والخبرة ، واتساع الأفق ، ولأنه كان متميزًا فى رسومه ، لبقًا فى حديثه وجد العديد من الأصدقاء حَوْله يُساندونه ويُسَرون عنه ويشجعونه على المضى قدمًا فى لوحاته وفنه ، لكنه مع ذلك كان يشعر بالاختلاف بعض الشىء .. والإحساس بالوحدة داخل نفسه ، لكنه كان ساخرًا ، مرحًا ، يحب الناس ويألفهم ويختلط بهم ويرسمهم ولا يُحب أن يبقى وحيدًا لفترات طويلة كى لا يسيطر عليه هذا الإحساس اللعين الذى يطارده .. الوحدة والذى ظل فى حرب دائمة معه ، يحاول التخلص منه والانتصار عليه بالناس ووجوده معهم .

الطواحين الحمراء «مولان روج»

وفى عام ١٨٨٩ ، عندما كانت باريس تحتفل بافتتاح بُرج إيفل الشهير ، كان حى « المونمارتر » — حى الفنانين — يحتفل بافتتاح ملهى « المولان روج » أو « الطاحونة الحمراء » ، الذى أصبح من أشهر معـالم باريس اليوم ، ويُعتبر « تولـوز لـوتريك » أحد أسباب شهرة هذا المكان بلوحاته التى رسمها هناك .

من يومها اعتاد « تولوز لوتريك » أن يذهب إلى هناك ويجلس إلى أحد الموائد وفى يده أوراقه وقلمه ، يرصد فى شغف واهتمام حركات الناس وتعبيرات ملامحهم باختلاف شخصياتهم ، حتى ربطته صداقات مع العديد من رواد المكـان .



أحـد الإعلانــات التى قـام برسمهـا تولوز لوتريك

فأصبح هذا المكان متنفسًا له يقضى فيه الكثير من وقته يرسم ما حوله فى اهتمام وإثارة وبسرعة فائقة وبالإضافة إلى اللوحات الزيتية التى رسمها فى تلك الفترة اشتهر برسوم إعلانات الملاهى والمسارح ومطبوعاتها وديكوراتها ، فرسم موضوعات الرقص والموسيقى وألعاب السيرك والبهلوانات ، وجميعها موضوعات غير ثابتة بل شديدة الحركة والسرعة وتحتاج إلى رسام ذكى ، فائق السرعة والمهارة لالتقاط هذه الحركات الراقصة الصعبة ، بالإضافة إلى ذاكرة فوتوغرافية تستطيع أن تلتقط الحدث وتحفظ الحركة كى يستطيع إكمالها فيما بعد فى لوحة .

وبفضل رسومه الكثيرة فى اللوحات والإعلانات عن فتيات وجمهور « المولان روج » اشتهر هذا المكان بباريس وفى أوروبا كلها .

النضج الفنى

تنوعت فى تلك الفترة أعمال « تولوز لوتريك » ، فقد كان نهمًا للرسم كأنه طعامه وزاده فى الحياة ، يمارسه بحب وحرية كبيرة وبعبقرية واقتدار .

فكان من أكثر فنانى عصره تميزًا فى أسلوبه فى رسم الوجوه والناس ، كأنما يستطيع بنظرته الثاقبة أن يدخل إلى أعماق الأشخاص ، ويرسمهم على حقيقتهم دون زيف أو افتعال ، فنادرًا ما نرى له لوحة لأحد الأشخاص قد جلس أمامه ليرسمه كموديل ثابت ، بل أحب أن يرسم الناس وهم يتصرفون بطبيعتهم ، فى حركاتهم العادية وانفعالاتهم ، وعليه هو أن يلتقط اللحظة المناسبة والتعبير المطلوب من على الوجه .



صورة فوتوغرافية لـ أيفيت جلبرت صديقة تولوز لوتريك
التى رسمهـــا فى واحـــدة من أشهـــر لوحاتـــه

كذلك انتشرت أعماله ولوحاته لبعض كبار الممثلين والممثلات المشاهير ، ومنهم المغنية المعروفة « إيفيت جلبرت » التى رسمها عدة مرات ، وصديقه « فالنتان » الذى كان يعمل كراقص فى ملهى « المولان روج » ، و« جون إفريك » التى رسم لها لوحته الشهيرة « جون إفريك وهى ترقص » الموجودة حاليا بمتحف « اللوفر » بفرنسا .

كان « تولوز لوتريك » يحب الناس ويأنس بهم ، وفى تواجده معهم ، وتواجدهم فى لوحاته ، فنادرًا ما تخلو لوحة من لوحاته الكثيرة من الأشخاص ، فهو يرى جمال الحياة فى حركتها وصخبها ، وقد أحب هو هذا الصخب بشكل ملفت .. فهو يكره أن يكون وحيدًا ويظهر هذا فى لوحاته المزدحمة بالناس .

فكان يختلف مع زملائه الرسامين فى الرأى حول مسألة رسم المناظر الطبيعية وحبهم للرسم فى الخلاء .

ويقول لهم .. « الأحمق وحده هو الذى يستطيع أن يرسم منظرًا طبيعيًّا يخلو من الناس .. ولا يمكن إلا لذى حس بليد أن تحتمل عيناه ضوء الشمس فى الأماكن المفتوحة .. »

إلى هذا الحد لم يكن يستمتع « تولوز لوتريك » بالحياة أو الطبيعة إلا فى وجود الناس من حوله وفى لوحاته .

شُـــهرة مُبـــكرة

فى عام ١٨٩٣ م قرر « تولوز لوتريك » إقامة أول معرض للوحاته التى رسمها خلال السنوات الثلاث السابقة فقوبل هذا المعرض بحماس شديد وبترحيب من الجمهور والنقاد ، ونجح نجاحًا باهرًا – فى وقت كانت فيه فرنسا تزدحم بالفنانين الكبار ومعارضهم الفنية – فقد وجد له مكانًا فى الصدارة بجوار زملائه الفنانين العظام .

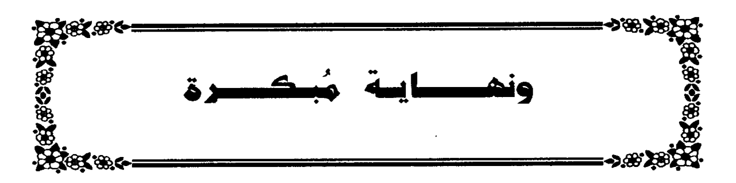
وكتب أشهر النقاد الفرنسيين عن لوحاته يمتدحونها ، وكتبت عنه مجلة الفنون الجميلة بباريس تقول .. « إننا منذ زمن طويل لم نلتق بفنان له مثل هذه الموهبة المتقدة ، وربما يرجع سر أستاذيته وصراحة تعبيره إلى أنه يجمع بين ملكتين

متكاملتين هما قدرته على النفاذ إلى أعماق شخصياته وسيطرته التامة على وسائل التعبير » .

بعدها اشتهر اسمه إلى حد بعيد ، وقام بأعمال أخرى بجوار لوحاته مثل تصميم رسوم وأغلفة الكتب لعدد من كبار الأدباء أمثال .. « كليمنصو » ، « جول رينارد » .. وغيرهم .

لكن « تولوز لوتريك » مع هذا كان دائم الإحساس بأن حياته قصيرة ، فنراه يستهلكها بسرعة جنونية كأنه فى سباق مع الزمن ، ورغم وجود أصدقائه من حوله كان يشعر بالوحدة .

وعلى كل حال فقد كان « تولوز لوتريك » إيجابيًّا فى تغلبه على عجزه ومحنته ، وانتصاره على يأسه ، وخروجه مرة أخرى للحياة بعد حادثته المؤلمة .. مستخدمًا عقله ومهارته فى فنه لينجح نجاحًا باهرًا وضعه على قمة فنانى العالم ، لكنه كان سلبيًّا بعض الشىء فى بعض الأوقات بسبب يأسه الذى كان يداهمه أحيانًا فقاده ذلك لعدم الحرص على صحته ، واستهلاكه لقوته باحتسائه للخمر والسهر الدائم ، وقد دفع الثمن بأن أفنى حياته فى سن مبكرة .

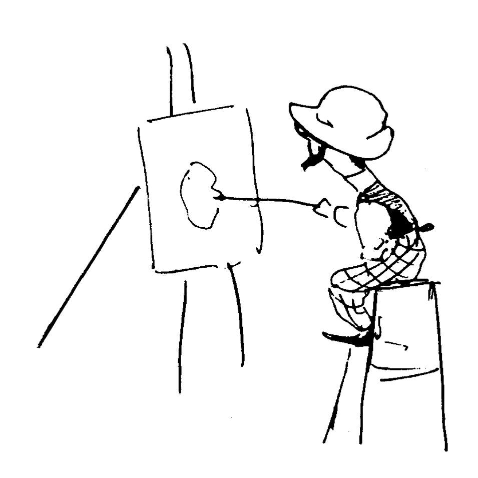


ونهاية مُبكرة

وفى عام ١٨٩٦ م دخل « تولوز لوتريك » مستشفى « نييلى » للأمراض النفسية والعصبية للعلاج من إدمان الخمر وليتخلص من تأثير الكحول الذى تشبع به جسمه ..

وفى هذه الفترة أيضًا لم يتوقف عن الرسم بل أخذ يرسم العديد من اللوحات المرحة لمناظر من السيرك .. من الذاكرة وكما يُقال إن « تولوز لوتريك » خلال عشر سنوات – فيما بين سن الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين – وهى مرحلة نضجه الفنى ، أنتج عددًا لا يحصى من اللوحات .

توفى « تولوز لوتريك » فى عام ١٩٠١ م وهو فى السابعة والثلاثين من عمره .. بين أحضان أمه بعد أن أصابته نوبة عصبية حادة ، نتيجة الإرهاق الشديد .



فن « تولوز لوتريك »

يُعد الفنان « تولوز لوتريك » من الفنانين المتميزين فى رسومه ولوحاته لما له من مميزات خاصة ، أعطت له تفردًا بين أقرانه .. من هذه المميزات جودة اختياره للموضوعات الجديدة التى يرسمها ، والتى لم تكن معتادة فى ذلك الوقت ، فقد لفت نظر الفنانين الآخرين فى جيله ، ومن بعده إلى تلك النظرة الجديدة لأشياء لم تكن تحظى بالاهتمام بقدر كافٍ ومن ناحية أخرى فهو فنان يُجيد التعَلم والاستفادة من خبرات الفنانين العظام الذين سبقوه ، ويقوم بصياغتها فى لوحاته بأسلوبه الخاص ووفقًا لشخصيته .

فقد استفاد من الفنان « إدجار ديجا » — الذى اعتبره أستاذه

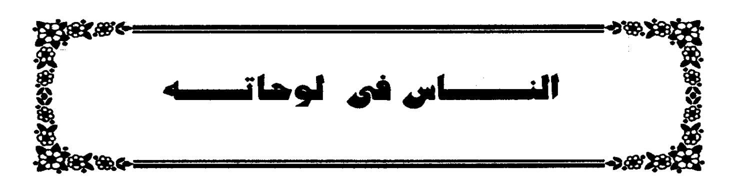
فى رسم الرقص والعروض الموسيقية – وفى حين توقف « ديجا » عند حد الإعجاب برسم الباليهات العالمية وراقصات الباليه استغرق « تولوز لوتريك » فى رسم كل ما يحيط بالرقص والمسرح من ضوضاء وصخب وحركة فحولها من مجرد إعجاب بخفة الراقصين إلى حياة كاملة تمتلئ بالصراع ، والانتصار والهزيمة ، فى شكل درامى كامل .

وهو رسام حساس تجاه الموضوعات التى يُعبر عنها ، يعيشها بصدق ويرسمها بعشق ، ففى رسومه عن السيرك وجو المرح الذى يُغلفه . برغم أن العديد من الفنانين الكبار رسموا السيرك فى مرحلة من مراحلهم الفنية أمثال بيكاسو ، « وفرناندليجية » . فقد كانت له دائمًا ميزة فى لوحاته ، كان أكثرهم تعبيرًا عن الخفة والمرح بما يتناسب مع روح السيرك وما يدور بداخله من ألعاب ومهرجين وجمهور .

وبالإضافة إلى تلك المَلَكة فى فن « تولوز لوتريك » فهو يمتلك مهارة فنية عالية من شأنها تجسيد هذه المعانى العميقة للوحاته فى أسلوبه فى رسم الخطوط والتلوين المُحكم وبخاصة قدرته الفائقة على رسم الاسكتشات السريعة – الرسوم التحضيرية – فى رسوم الرقص والموضوعات التى تحتاج إلى

رسم الحركة الإنسانية ، وهو ما عشقه فى لوحاته الزاخرة بالناس والتفاعل .

إن « تولوز لوتريك » كان فنانًا شابًا ناجحًا فى فنه بسبب تميزه وإتقانه للرسم وجودة اختياره للموضوعات ، وأسلوب مُعالجتها ، فهو فنان مثقف ، وذكى ، ولمّاح يُجيد معرفة الأشخاص من حوله ، وكذلك فهو فنان حساس ، مرهف الحس ، ومبدع تتوافر فيه كل صفات الفنان الجيد من قدرات فنية وإنسانية .



منذ الصغر والفنان « تولوز لوتريك » يُحاول أن يُبدد عجزه عن المشى والتجوال بأن عشق السفر والترحال والتنقل من مكان إلى آخر ، ومن بلد إلى آخر ، يحمل معه فرشاته وألوانه ، ويفعل بخياله ما لا يستطيع أن يفعله بجسمه ، فصار يتأمل الناس ويكتشفهم بذكائه الفطرى ويرسمهم على حقيقتهم ، وليس كأشكال صماء . فيكشف عن شخصياتهم ووجوههم الحقيقية بأسلوب قوى وبسيط ، لا يهتم فيه بالتأنق والمبالغة فى التجميل بل بالقدرة على التعبير عن الآخرين ، مثله مثل المحلل النفسى يكشف أغوار النفس البشرية .



أحد الـرواد .. في ملهـى المـولان روج

فكان يرسم مختلف الطبقات من البشر .. العمال ، الفلاحين ، البسطاء ، الأثرياء ، الموسيقيين ، رواد الحانات ، الراقصين .. وعندما تنظر إلى الصورة المرسومة تشعر أنك تعرف هؤلاء البشر .. من يكونون ، وماذا يعملون فى حياتهم ، برغم أنك لا تعرفهم شخصيًّا ، ولم تقابلهم فى حياتك أو زمانك .

تستشعرهم فى حركة دائبة كل فى اتجاهه ، مشغول بما يفعله ويؤديه .. فالأشخاص فى أعماله الفنية ليسوا مجرد أجسام تملأ فراغ اللوحات ، لكنهم قوة فعالة مؤثرة ، متحركة .. بل دائمة الحركة .

ارتبط « لوتريك » بالأشخاص التى يرسمها فكان يرسمهم باستمتاع شديد ، بل وتعاطف واضح ، مثلما ربطته صداقة بالراقصة « جون إفريك » فرسمها فى لوحة جميلة من أشهر لوحاته ، وما زالت هذه اللوحة محفوظة حتى الآن بمتحف « اللوفر » بفرنسا وهى بعنوان « جون إفريك » .. وهى ترقص كذلك لوحة صديقه « فورساد » وهو أحد رواد الملهى ، وهى معروضة حاليًّا بمتحف « ساو باولو » بالبرازيل .. لذا فقد كانت لوحاته مملوءة بالإحساس والقدرة على التعبير والاحتياج إلى وجود الناس فى حياته ولوحاته هروبًا من ألم الوحدة .

الرقص والموسيقى والحركة

مثلما كان « تولوز لوتريك » يتخلص من إحساسه بالوحدة بأن يتواجد وسط الناس ويحبهم ويوجدهم بشكل واضح فى لوحاته ، فقد كان الشق الثانى من لوحاته أو الميزة الثانية للوحاته وهى الحركة الدائبة وقدرته على التعبير عنها فكانت أسلوبه للخلاص من الإحساس بالعجز .. فإن عجزه عن الحركة جعله على النقيض فى لوحاته .. يميل ميلاً صارخًا للتعبير عن الحركة بصفة عامة .

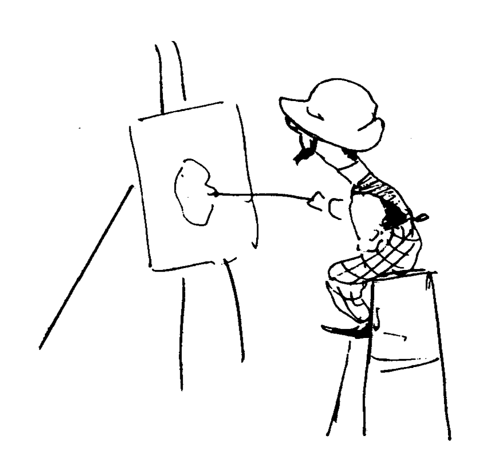
يظهر هذا بشكل واضح فى لوحاته الكثيرة عن السيرك والرقص والموسيقى والمسرح ، ورسم بها كمًّا كبيرًا منوعًا

من الراقصات والمغنيين والممثلين والجمهور وهم فى حركات متنوعة وصاخبة تتناسب مع جو المرح والموسيقى فى القاعة .

وهذا الاتجاه إلى رسم الحركات الراقصة والدرامية المسرحية والانفعالية كان يُعد شيئًا جديدًا فى الرسم ، فقد اعتاد الرسامون على رسم الموديلات – الأشخاص – الثابتة ، حتى فى اللوحات التى تحتاج إلى رسم الحركات كانت – عادة – تظهر بها الحركة ساكنة ، بطيئة ، متوقفة عند لحظة زمنية مُعينة ، لكن فى لوحات « تولوز لوتريك » كانت الحركات المرسومة يُظهر بها حساسية شديدة وانفعالاً عاليًا فى نفس الوقت ، يدلل على حبه للموسيقى وعشقه للحركة – ويُعد الفنان « ديجا » فقط هو الأسبق منه فى رسم هذه الموضوعات لكن كان لكل منهما أسلوبه الخاص – وأيضًا دليل على تمكنه من فنه ، فقد كان يجلس إلى مائدة مواجهة للمسرح ، ومعه أوراقه وأقلامه ، ويرسم كل ما يراه ويحبه ، يلتقطه بحذق ومهارة تحتاج من الرسام إلى الكثير من الجهد والتدريب ، والسرعة الفائقة لالتقاط الحركة فى لحظة تمر أمام عينيه سريعًا ، وعليه أن يسجلها بريشته ، وفى ذاكرته كما مرت عليه كى يستطيع إكمال رسمها

وإدخال التعديلات عليها ، ويقوم فى لوحاته بالتركيز على تفاصيل بعض الأجزاء دون الأخرى بحيث يستطيع المشاهد أن يتخيل معه بقيتها .

... ومن أهم لوحات هذه المجموعة لوحته الشهيرة الرقص فى « المولان روج » التى رسمها عام ١٨٩٠م وهى معروضة بمتحف « فيلادلفيا » بالولايات المتحدة .



الفنان إدجار ديجا

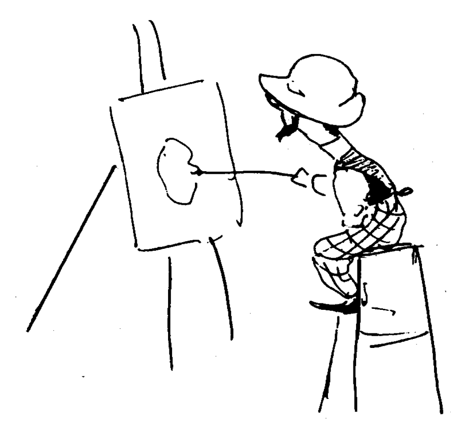
يُعد الفنان العالمى الشهير « إدجار ديجا » أهم من أثر بلوحاته فى « تولوز لوتريك » فقد أعجب بلوحاته حتى دون أن يتقابلا ، فقد كان « ديجا » أكبر من « تولوز » بحوالى ٣٠ سنة وأسبق منه فى الفن والشهرة ، لكن «ديجا» لفت نظره برسومه لراقصات الباليه والحفلات الموسيقية والأوبرا فى أعماله .. فكأن « تولوز لوتريك » عندما رأى لوحاته وجد فيها ضالته .

لكن بينهما اختلاف واضح رغم اتفاقهما على رسم موضوع الموسيقى والرقص ، فقد كان « ديجا » يهتم برسم الباليه والأوبرا .. وكذلك المشاهدين لهذه الفنون الرفيعة ، بأناقتها



رسم تولوز لوتريك على واجهـــة أحـــد المحـــلات

وبريقها وتألقها ، فى حين كان « تولوز » يهتم بالطبقات الأخرى الأكثر صخبًا وتنوعًا ، فكان يرسم فى الملاهى الليلية ومسارح الرقص .. وغيرها وهذا يتناسب على ما يبدو مع شخصيته المرحة ، الساخرة وعن إعجاب « تولوز لوتريك » بالفنان « ديجا » .. يُحكى أنه ذات ليلة دعا أصدقاءه فى بيت أحد معارفه للعشاء .. وبعد العشاء صحب ضيوفه ليُشاهدوا واحدة من لوحات « ديجا » معلقة على الجدار قائلاً .. « الآن أقدم لكم الحلوى بعد العشاء » .



تولوز لوتريك.. والتأثيرية

يُعد الفنان « تولوز لوتريك » من رواد المدرسة التأثيرية فى الفن التشكيلى .. وهى مدرسة أو أسلوب له أهمية كبيرة فى مجال الفن التشكيلى والرسوم ، رفضت الرسم بالأسلوب التقليدى – الكلاسيكى – خاصة داخل المراسم واتجهوا للرسم فى ضوء الشمس والمناظر الطبيعية واكتشاف ما للضوء من أهمية وتأثير على الألوان والأشكال .. وظهرت العديد من الأسماء اللامعة فى الفن وراء هذه الرغبة فى التطوير والخروج عن المألوف من تقاليد الفن القديمة أمثال ..« ميزان » ، « ديجا » ، « كلود مونيه » ، « رينوار » ، « فان جوخ » ، « جوجان » .. وغيرهم ..

رفضوا فكرة الجلوس فى مراسمهم والاستعانة بالموديلات فقط لرسم لوحاتهم ، بل خرجوا للطبيعة بكل ما بها من جمال وخيال ومتغيرات ، تحت وطأة الشمس والهواء والغبار ..يتأثرون مباشرة بها وينقلون هذا الإحساس والتأثر فى لوحاتهم بسخونة وعفوية وضربات فرشاة واضحة، وأسلوب ملفت وجديد فى رسم الضوء وترجمته إلى لون.. كان يفتقدها الفن فيما مضى .

لذا فقط سُمِّى هؤلاء الفنانون بالفنانين التأثيريين لأنهم اهتموا بتأثير الرسوم أكثر من تسجيلها ونقلها وأثر الضوء عليها ، وهؤلاء الفنانون التأثيريون بدورهم كانوا فى غاية الأهمية ، لأن الثورة الفنية التى بدءوها فتحت الطريق لكل المدارس والأساليب الفنية الحديثة فيما بعد مثل السيريالية ، التكعيبية ، التجريدية ... وغيرها ولكل منها أسلوبه ومعناه الخاص الذى يختلف فى منهجه وطريقة رسمه والتى تتوافق مع مبادئ الفنان وشخصيته وفلسفته فى الفن والحياة .

ولم يكن « تولوز لوتريك » واحدًا من رواد هذه الطليعة فحسب بل من المتميزين منهم .. لذا فأغلب متاحف العالم تقتنى لوحاته وتحفه الفنية ، وتحرص على عرضها للجمهور فى أفضل صورة باعتبارها من الكنوز الفنية .

فهرس

رقم الإيداع	١٩٩٦/٩٩٨٥
الترقيم الدولى 977-02-5314-6	ISBN

٧/٩٥/١٥١
طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)